

الأساس فهي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

ملف الوجدان واضطرابات العواطف (64)

ثانياً: الانفعالات العسرة: (27)

اضطرابات الوجدان (العواطف)

مُسَر الاضطرابات الوجدانية: كَمياً (24)

من تناقض الوجدان إلى "تحمل الغموض" إلى الإبداع

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD02215.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/02/02
السنة الثامنة - العدد: 2682



بعدنا كثيرا عن اضطرابات الوجدان، الموضوع الأصلي، واستغرقنا في محاولة البحث عن جذور كل اضطراب في الحياة السوية، ومنذ نشأ عبر التطور، وقد آن الأوان نختم الملف بظاهرة أشرنا إليها مرارا دون تفصيل، وهي أبعد ما تكون عن ما يسمى "اضطراب الوجدان"، بل لعلها تقف على طرف النقيض من ذلك، وقد أشرنا إليها في مواقع كثيرة في النشرات السابقة، لكنها ما زالت تحتاج إلى نشرة مستقلة، وهذه الظاهرة هي "تحمل الغموض".

حين تداخل الإدراك مع الوجدان مع الوعي أصبح من المتاح أن نلم بقدر أشمل بحركية الإبداع في صبر أعمق وأصدق، وكيف لاحت لى في علاقتها بتناقض الوجدان وتحمل الغموض.

إن المتابع لملف الإدراك من (نشرة 10-1-2012) إلى (نشرة 10-3-2013) ثم معظم فضيلة الدهشة وأخيرا ما وصلنا إليه في ملف الوجدان لا بد أن يصله أننا كنا نبحر في محيط محاط بغمام كثيف، لكن بإصرار مثابر، حتى فوجئنا بهذا التحدى الصارخ في تناول تناقض الوجدان كظاهرة عند الأسوياء، وكأصل لتحريك تحمل الغموض حتى جدل الإبداع.

لن أتطرق إلى حضور أهمية وجدوى وعطاء مبدأ اللا يقين Uncertainty الذى يسمى أحيانا "نظرية الريبة"، وقد ظهرت هذه النظرية (نظرية اللا يقين أو اللا تأكد) بعد أن صاغها هايزنبرج عام 1927، لكنها تطورت هائلا ورائعا في النظريات الكمومية الرياضية والطبيعية (1)، ثم ظهر تأثيرها في مجال علم الوعي الكموى (2) وعلم النفس (3) الكموى بشكل شديد الإفادة بالغ الثورية قد نعود إليه ونحن نطرق أبواب الوعي فى سوائه واضطرابه.

وصف هايزنبرج آثار النتيجة الباهرة لمبدأ "عدم التأكد أو اللا يقين" بقوله: "إن عدم معرفتنا المستقبل لا يأتى من عدم معرفة الحاضر ولكن بسبب عجزنا عن معرفة الحاضر"

وحيث يحتد اللا يقين بشكل جسيم يظهر فى أمراض نفسية متعددة بدءاً من القلق العام حتى بسيطر سيطرة هائلة فى اضطراب الوسواس القهرى الذى قد يصل به الأمر إلى درجة إعاقة ذهانية.

طبعاً لن أدخل فى تفاصيل نظرية اللا يقين وإنما أردت أن أذكر أن هذه الظاهرة تبدأ من كونها حقيقة علمية أحدث ساعدتنا فى فهم الوعي (وبالذات من منطلق الوعي الكموى Quantum Consciousness) وأرى أنها يمكن أن تسهم فى استخلاص ما نحن بصدهه الآن من قبول فكرة التناقض الوجدانى والغموض المعرفى الوجدانى كمنطلق إلى الجدال الحيوى

إن عدم معرفتنا المستقبل لا يأتى من عدم معرفة الحاضر ولكن بسبب عجزنا عن معرفة الحاضر" هايزنبرج

حين يحتد اللا يقين بشكل جسيم يظهر فى أمراض نفسية متعددة بدءاً من القلق العام حتى بسيطر سيطرة هائلة فى اضطراب الوسواس القهرى الذى قد يصل به الأمر إلى درجة إعاقة ذهانية.

قبول فكرة التناقض الوجدانى والغموض المعرفى الوجدانى كمنطلق إلى الجدال الحيوى التطورى الخلاق.

لم يربط أحد بشكل كافٍ - فى حدود علمى - بين تناقض الوجدان وتحمل الغموض - لكن الكثيرين ربطوا بين تحمل الغموض وبين الإبداع

التطوري الخلاق.

من أصعب الصعب على الشخص العادى أن يواجه موقفاً غامضاً لا يستطيع إزاءه المبادرة بالحسم، ومن أغمض مثل هذه المواقف: "تناقض الوجدان"، فإذا تعددت تجليات وجدانات كثيرة في نفس وساد الوعي الأقرب للظاهر: ازداد الموقف إرباكاً واحتد الغموض الذى لا يحله إلا اختزاله - دون قصد واع عادة - إلى أوضح أقرب معالم، أو استقطاب محتواه **لفض الاشتباك بين مفرداته**، وكلا السبيلين يبعدها عن الأصل والحقيقة، المأمول، بل الطبيعى لو لم ينحرف بنا المسار أن يحرك فينا هذا الغموض قبول ابتداءً بيقين مخترق، فنقدم على تحديه، ونصبر عليه لعلنا نكتشف فيه ما كان قد غاب عنا فى البداية، فتتحرك فينا نتيجة لكل ذلك آليات تشكيل جديد من واقع تجمع اليقين مع الصبر مع الدهشة مع قبول التحدى، ورفض الاختزال والاستقطاب معا.

أليس هذا هو الإبداع؟

لم يربط أحد بشكل كاف - فى حدود علمى - بين تناقض الوجدان وتحمل الغموض - لكن الكثيرين ربطوا بين تحمل الغموض وبين الإبداع، يعتبر تحمل الغموض - بالشرح الأخير فى الفقرة السابقة من علامات النضج وحافزات الإبداع، أما ما يقابل تحمل الغموض بما يوضحه بما هو عكسه فهو ما يسمى تجنب اللابيقين **Uncertainty Avoidance** حين لا نتحمل أية درجة من الغموض ولا نقبل إلا يقيناً محدداً واضح المعالم ولو كان زائفاً.

من البديهي أن أياً منا يحتاج أن يتعامل مع أمور واضحة، ومعالم محددة ما أمكن ذلك، لكن إذا كان الواقع الظاهر ليس دائماً جاهزاً ليمدنا بمثل ذلك، ولا هو فى إمكانه، حتى لو اتضح إلى غاية ما يمكن، أن يحسم الأمر لصالح التحديد والوضوح لما نأمل أو نتصور، فلا بد أن ثمة سبل للتعامل مع كل من الغموض المرتبط أشد الارتباط باللابيقين.

إن نجاح التربية والتعليم والتطبيب النفسى والعلاج يمكن أن يرتبط ارتباطاً مباشراً بالقدرة على استيعاب هذا الطيف الممتد من:

تعدد الوجدانات معا بما فى ذلك التناقض <== الغموض <== العجز عن تقبل اللابيقين **Incoherence of Uncertainty** <== الاختزال أو التفكك أو الإعاقة (وهذا هو المسار السلبي فهو المرض).

أو

تعدد الوجدانات (بما فى ذلك التناقض) <== الغموض <== تحمل الغموض <== الإقدام <== الانتظار <== الدهشة <== إعادة التشكيل <== الجدول <== الإبداع [4].

فتصبح مهمة الطبيب والمعالج أن يحولوا المسار السلبي إلى المسار الإيجابي، بدلاً من الاستسلام للنظريات التعليلية الخطية والتبريرية والتأويلية، أو النظريات الكيميائية التثبيطية الوثائقية (وهذا هو المسار الإيجابي الطبيعى)

على أنى وجدت فى المتاح من التراث العلمى عشرات الاختبارات لقياس "تحمل الغموض"، لكنها ركزت على تحمل الغموض المعرفى، ولم تقنعنى أى منها.

كما رصدتُ اختبارات مقننة كثيرة جداً لقياس عدم تحمل اللابيقين، ولم تضيف إلى ما كنت أبحث عنه.

ما يقابل تحمل الغموض بما يوضحه بما هو عكسه فهو ما يسمى تجنب اللابيقين **Uncertainty Avoidance** حين لا نتحمل أية درجة من الغموض ولا نقبل إلا يقيناً محدداً واضح المعالم ولو كان زائفاً.

تعدد الوجدانات معا بما فى ذلك التناقض <== الغموض <== العجز عن تقبل اللابيقين **Incoherence of Uncertainty** <== الاختزال أو التفكك أو الإعاقة (وهذا هو المسار السلبي فهو المرض).

تعدد الوجدانات (بما فى ذلك التناقض) <== الغموض <== تحمل الغموض <== الإقدام <== الانتظار <== الدهشة <== إعادة التشكيل <== الجدول <== الإبداع

مهمة الطبيب والمعالج أن يحولوا المسار السلبي إلى المسار الإيجابي، بدلاً من الاستسلام للنظريات التعليلية الخطية والتبريرية والتأويلية، أو النظريات الكيميائية التثبيطية الوثائقية

وسائل تنمية تحمل الغموض احترام الجمل وهذا ما حرصت على قراءته للفرى حتى أسميه الجمل المعرفى

ما أريد أن أختتم به نشرة اليوم هو الإشارة إلى أن ثم تدريبات وتوجيهات قد تساعد على تنمية "سمة" تحمل الغموض، وهى وظيفة أفضل أن اعتبرها وجدانية أكثر منها معرفية، مع أن الوجدان هنا معرفى أساسا، ومن ذلك:

بعض وسائل تنمية تحمل الغموض:

- 1- احترام الجهل وهذا ما حرصت فى قراءتى للنفرى حتى أسميه الجهل المعرفى.
- 2- الحفاظ على القدرة على الانبهار دون فهم.
- 3- تأجيل التخلص من حركية الدهشة ودفعها مهما أثار من قلق وحيرة.
- 4- القبول بمبدأ "تعدد مستويات الوعى"، وتداخل عملها مع الاحتفاظ بمحصلة هى التى تظهر لنا سلوكيا معا.
- 5- القدرة على التأجيل (تعليق الحكم).
- 6- الحرص على الاستزادة من المعلومات المكملة والمنجورة والمتضادة والمتعارضة مع الانطباع الغامض الأول.
- 7- ترجيح التفكير الفرضى الاستنتاجى بتفريخ فروض قادرة على مواجهة الغموض غير الحريصة على سرعة حله.
- 8- السماح لقدرات الوجدان المعرفية، وقدرات الإدراك الشاملة غير المختنقة فى الحواس المعروفة، بالإسهام فى التعرف والتشكيل.
- 9- احتمال تناقض الوجدان بدرجاته المحتملة الذى يمكن أن يصاحب أيا من هذه الخطوات.
- 10- الاستعداد لاختبار الفروض المبدئية على أى مستوى (فكرى أو عملى) بمناهج مرنة ومتعددة.
- 11- الاستعداد للبدائية من جديد مع تحقيق أو فشل أيا من الفروض المطروحة.
- 12- القبول المتجدد لفروض أكثر إحاطة وأكمل تشكيلا من الفرض الأول.

طريق الإيمان وتحمل الغموض (مجرد أمثلة)

وددت لو طرحت هذا الموضوع جانبا خوفا من أن أستدرج إلى ما أفضل أن أتجنبه مرحليا، وأيضا رفضا لفكرة التفسير العلمى للنص الإلهى وما هو فى مقامه، لكننى خجلت من أن يكون ذلك هربا من المسؤولية، فقررت أن أعرض نقاطاً عامة من واقع دينى الذى أعرفه، مع العلم أننى أعتقد أنها موجودة فى كل دين سليم بلغة أخرى، لناس آخرين.

أولاً: لم أجد غموضاً متحدياً رائعاً أبلغ ولا أعمق ولا أنفع مما وجدته فى مواقف النفري حتى

الآن من **(نشرة 20-10-2008) إلى (نشرة 31-1-2015)** (721 صفحة من القطع الكبير A4 يمكن الرجوع لها فى الموقع) لعلها مناسبة طيبة أن أعترف أن مواصلى قراءته والاجتهاد فى استلهاه طوال هذه السنوات كان من أهم ما ساعدنى على التدريب على تحمل الغموض **(51)**.

ثانياً: لم أجد جهلاً محيراً وغامضاً أكثر من الجهل الذى دافع عنه النفري حتى تركنا فى حيرة محورية فعلا حين ينفى الأضداد مثلاً وهو ينصحن أن الجهل ليس ضد العلم، وأن العلم ليس ضده الجهل" ثم يطلب منا أو نطلب نحن من أنفسنا أن نتحمل ذلك ونواصل الكشف والاستلهاه.

ثالثاً: إن ما لحق بمعظم الأديان (أو على الأقل ما أعرفه عن دينى) من التزيم والاختزال

وسائل تنمية تحمل الغموض القبول بمبدأ "تعدد مستويات الوعى"، وتداخل عملها مع الاحتفاظ بمحصلة هى التى تظهر لنا سلوكيا معا

وسائل تنمية تحمل الغموض الحرص على الاستزادة من المعلومات المكملة والمنجورة والمتضادة والمتعارضة مع الانطباع الغامض الأول

وسائل تنمية تحمل الغموض السماح لقدرات الوجدان المعرفية، وقدرات الإدراك الشاملة غير المختنقة فى الحواس المعروفة، بالإسهام فى التعرف والتشكيل

وسائل تنمية تحمل الغموض احتمال تناقض الوجدان بدرجاته المحتملة الذى يمكن أن يصاحب أيا من هذه الخطوات

أعترف أن مواصلى قراءته والاجتهاد فى استلهاه (مواقفه النفري) طوال هذه السنوات كان من أهم ما ساعدنى على التدريب على تحمل الغموض

إن ما لحق بمعظم الأديان (أو على الأقل ما أعرفه عن دينى) من التزيم والاختزال والتأويل غير المبدع هو راجع - فى رأيى - إلى عدم تحمل الغموض ومن الإسراع فى الحسم بالتفسيرات اللغوية المعجمية، والتعليلية، والتأويلية،

والتأويل غير المبدع هو راجع - فى رأى - إلى عدم تحمل الغموض ومن الإسراع فى الحسم بالتفسيرات اللفظية المعجمية، والتعليلية، والتأويلية، والسببية والتراثية المغلقة.

رابعاً: لا أعرف دعوة إلى تحمل الغموض بمسئولية أكثر من الدعوة للإيمان بالغيب التى تصلنى باعتبارها دعوة إلى تحمل الغموض طريقاً إلى الإبداع واضطراد الكشف إلى غيب جديد، فجديد، فجديد إلى وجه الله.

لا أعرف دعوة إلى تحمل الغموض بمسئولية أكثر من الدعوة للإيمان بالغيب التى تصلنى باعتبارها دعوة إلى تحمل الغموض طريقاً إلى الإبداع واضطراد الكشف إلى غيب جديد، فجديد، فجديد إلى وجه الله.

قال لى من لم يستقرّ فى الجهل لم يستقرّ فى العلم. وقال لى الجهل وراء المواقف فمن وقف فيه أدرك علوم المواقف موقف وراء المواقف

وقال لى إذا قصدت إلى الباب فاطرح السوى من وراءك فإذا بلغت إليه فائق السكنية من ورائه وادخل إلى لا تعلم فتجهل ولا بجعل فتخرج موقف السكنية

[1] - Quantum Physics & Quantum Mathematics

[2] - Quantum Consciousness

[3] - Quantum Psychology

[4] - من أجمل ما وصف الحفز إلى تقبل الغموض رباعية صلاح جاهين التى يقول فيها:

وقفت بين شطين على قنطرة
الصدق فى والكذب فى يا ترى
محتار حاموت الحوت طلع لى وقال
هو الكلام يتقاس بالمسطرة!!

[5] - مثلاً:

وقال لى من لم يستقرّ فى الجهل لم يستقرّ فى العلم.
وقال لى الجهل وراء المواقف فمن وقف فيه أدرك علوم المواقف
موقف وراء المواقف

وقال لى إذا قصدت إلى الباب فاطرح السوى من وراءك
فإذا بلغت إليه فائق السكنية من ورائه وادخل إلى
لا تعلم فتجهل ولا بجعل فتخرج

موقف السكنية

وقال لى إذا علمت علماً لا ضد له وجهت جهلاً لا ضد له
فلست من الأرض ولا من السماء.

موقف بين يديه

إن شئت قرأت ما استلهمته من كل هذا الغموض فأرجع إلى الرابط (مواقف النفس بين التفسير والاستلهام).

**** **

كامل نشرات " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** **

خريف / شتاء 2014/2013

الإدراك

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.pdf>
<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.exe>

خريف / شتاء 2013/2012

" فبى تجلب أته ماهو م ووت "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf
www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe